الرسالة

(أعمال الرسل ٦: ١–٧)

في تلك الأيامِ لمَّا تكاثَر التلاميذُ حدثَ تذمُّرٌ من اليونانيينَ على العبرانيينَ بأنَّ أراملَهم كُنَّ يُهْمَلنَ في الخدمةِ اليوميةِ* فدعا الإثنا عشرَ جمهورَ التلاميذِ وقالوا لا يحسُنُ أن نترُكَ نحن كلمةَ اللهِ ونخدُمَ الموائد* فانتخبوا أيُّها الإخوةُ مِنكم سبعةَ رِجالٍ مشهودٍ لهم بالفضلِ مُمتلئَين من الروحِ القدسِ والحِكمةِ فنُقيمهم على هذه الحاجة* ونُواظِبُ نحن على الصلاةِ وخدمةِ الكلمة* فَحَسُنَ الكلامُ لدى جميعِ الجمهور. فاختاروا إستِفانُسَ رجلاً ممتلئاً من الإيمانِ والروح القدسِ وفيلبُّسَ وبروخورُسَ ونيكانورَ وتِيمنَ وبَرْمِناسَ ونيقولاوسَ دخيلاً أنطاكياً* وأقاموهم أمامَ الرسُل. فصلُّوا ووضعوا عليهم

«هناك تَرَونَه كما قال لكم».

إذا نظرنا إلى الترتيب الزمني الذي تتبعه الليتورجيا منذ أحد القيامة المجيدة حتى اليوم، نرى أن النص الإنجيلي المتلو علينا اليوم في الكنيسة، مأخوذ من إنجيل مرقس، خلافاً للآحاد التي تلي الفصح والمأخوذة من إنجيل يوحنا. نرى إذاً أن نصَّ اليوم يَرجِع بنا إلى مَشاهد إنزال الرب يسوع عن الصليب ودفنه ومجيء النساء الحاملات الطيب إلى القبر واعتلان قيامة السيد لهنّ.

في المشهد الأول رجل نكاد لا نعرف عنه شيئاً، هو «يوسف الذي من الرّامة»، وهذه المرة الوحيدة التي يؤتى على ذكره في إنجيل مرقس. صِفَتا الـ«مشير» والـ«تقي» توحيان أنه كان عضواً في السانهادرين، وهو مجلس أعيان كان يتولّى شؤون اليهود السياسية. الإنجيلي متى يذكر أنه «كان هو أيضاً تلميذاً ليسوع» (متى ٢٧: ٥٧) والتقليد الكنسي يُسَمّيه «تلميذاً سرّياً». في كتاب «حياة العذراء» للقديس مكسيموس المُعتَرف أن مريم الكلية القداسة هي من طلب إلى يوسف الرامي، إذ كانت تعرف أنه كان ذا شأن وأنه كان يحبّ يسوع، أن يتوسَّط لدى بيلاطُس من أجل استلام جسد المصلوب ودَفنه. تجدر الإشارة هنا إلى أن حُكم الإعدام صلباً، بحسب القانون الروماني، كان ينُصُّ أيضاً على أن لا تُدفَن أجساد المصلوبين بل تُلقى على المزبلة خارج أسوار المدينة. لكنه بالفعل «اجترأ ودخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع»، بل وتمّم بذاته شعائر تهيئة الجثمان ودفنه كما يليق.

العدد ٢٠ / ٢٠١٦
الأحد ١٥ أيار
أحد حاملات الطيب
ويوسف الرامي ونيقوديموس
تذكار البارَين باخوميوس الكبير
وأخيلّوس
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر الرابع

واضح أن يوسف الرامي، وإن «كان هو أيضاً مُنتَظِراً ملكوت الله»، لم يكن من مجموعة الأقربين. لعلّ ما أراد الإنجيلي مرقس أن يُظهِره أن المُخَلِّص، منذ لحظة القبض عليه وحتى موته وفي دفنه، كان متروكاً حتى من أقرب أصدقائه. حتى النساء اللواتي سوف يأتين في اليوم التالي ليُطَيِّبن جسد المُخَلِّص، نراهنّ لم يشاركن في الدفن بل كنَّ ينظرن من بعيد. على كل حال، تختتم هذه الملاحظة مشهد الدفن وتمهّد لنا الدخول، عبر مجيئهنّ إلى القبر في أول الأسبوع باكراً جداً «وقد طلعت

الشمس»، إلى مشهد اعتلان قيامة المُخَلّص.

في تحديده وقت مجيء النسوة إلى القبر يستعمل الإنجيلي مرقس عبارَتَي «بكّرن جداً» و«طلعت الشمس»، والعبارتان لا تتّفقان. ثمة مَن فسَّروا هذا التباين بأن النسوة انطلقن باكراً جداً، ولكنهن لما بلغن القبر كانت الشمس قد طلعت. لكنه تفسير سطحي لا يُبَرّر لجوء الإنجيلي إلى صياغة تبايُنيّة كهذه. أما آباؤنا معلمو الكنيسة فيميلون إلى عُمقٍ رمزيّ لاهوتيّ أساسه أن هذه الشمس التي كانت قد طَلَعَت هي في الحقيقة شمس القيامة، التي كانت بالفعل قد أشرَقَت وبَدَّدت، منذ تلك اللحظة وإلى الأبد، ظلام الموت وطغيانه. في هذا المعنى الرمزي إذاً نرى المُخَلِّص هو المُبادِر، كعادته، مُشرقاً شمس قيامته – أي مانحاً مفاعيلها – على كل المُقبلين إليه، حتى ولو كانوا قد خافوا أو تعثّروا وقتاً ما.

«لما دَخَلنَ القبر رأينَ شاباً جالساً عن اليمين، لابساً حلّة بيضاء، فانذهلن»، يقول المقطع الإنجيلي. إذا قارنّا هذه الآية بما يوازيها في إنجيل متى (٢٨: ٢)، قد نفهم أن هذا اللابس «الحلة البيضاء» ملاك. لكن الإنجيلي مرقس يستعمل عبارة الـ«شاب» نفسها التي استعملها مرة قبل هذه في إنجيله إذ قال «وكان يتبَعه شاب عليه إزار على عُريه فأمسكه الشبّان. فترك الإزار وهرب منهم عُرياناً» (١٤: ٥١). لماذا أدرَجَ الإنجيلي هذه الآية، لاسيَّما وأن الآية التي تسبقها مباشرة تقول «وتركوه كلُّهم وهَرَبوا»؟ هل هذا الشاب الذي هَرَب هَلَعاً وقت القبض على يسوع، هو نفسه الذي نراه من جديد على القبر معلناً قيامة المُخَلِّص؟ لدى كُثُرٌ من آبائنا القدّيسين أن الشاب في الحالتين هو الإنجيلي نفسه، الذي يُدخِل نفسه في الرواية بأسلوب أدبي لكَي يعبِّر عن ضعف التلاميذ الذين تركوا يسوع وهربوا لحظة القبض عليه، وبالأخصّ عن ضعفه هو أيضاً ككاتب للإنجيل. لكن ضعفه هذا لا يمنعه من الرجوع إلى المُخَلِّص، فيكافئه المُخَلِّص لا بقبوله تائباً وحسب بل وبحلّة قيامته أيضاً. العُري يُذَكِّر بآدم إثر سقوطه، والحلّة البيضاء تُذَكِّر بأن من اغتسل بدم المسيح واستنار بقيامته «يَبيَضُّ أكثر من الثلج»، على ما يقول المزمور (٥٠: ٧). لا هذا وحسب، بل ويُصبح أيضاً مُبَشِّراً بقيامة المُخَلِّص. هذه صورة كل من يُقبل إلى قيامة المُخَلِّص واثقاً، حتى ولو تأرجح أو جَبُن في أوقات الظلام.

لدى كثيرين من آبائنا القديسين، ومن دارسي الكتاب المُقَدَّس ومفسِّريه، أن الخاتمة القوية لإنجيل مرقس هي الآية «فَخَرَجنَ سريعاً وفررنَ من القبر وقد أخذتهن الرعدة والدهش، ولم يقلنَ لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات» (١٦: ٨). طبعاً هم بهذا لا يهملون أهمية ما يلي الآية المذكورة من حديث عن ظهور يسوع القائم. فالشاب الجالس عن اليمين يُنبئ النسوة، وعبرهنَّ تلاميذ يسوع، «أنه يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم». (١٦: ٧). بيت القصيد إذاً هو معنى «الجليل» في إنجيل مرقس: الجليل هو حيث بدأ يسوع «يكرز بإنجيل ملكوت الله»، وهو حيث أظهر آيات سلطانه الإلهي على الشياطين وعلى سائر العلل والأمراض، وهو حيث اختار تلاميذه وعلّمهم أسرار ملكوته. لكن دعوة القائم من الموت أتباعه إلى ملاقاته في الجليل (هناك ترونه كما قال لكم)، تحمل أبعاداً تتجاوز المكان والزمان: الإنجيل اليوم يدعو المؤمن إلى العودة إلى الجليل، أي إلى بداية الإنجيل. يعني أن الأيدي* وكانت كلمةُ اللهِ تنمو وعددُ التلاميذِ يتكاثرُ في أورشليم جداً. وكان جمعٌ كثيٌر من الكهنةِ يُطيعونَ الإيمان.

الإنجيل

(مرقس ١٥: ٤٣–٤٧؛ ١٦: ١–٨)

في ذلك الزمان جاء يوسفُ الذي من الرامةِ مُشيرٌ تقيٌّ وكان هو أيضاً مُنتظراً ملكوتَ الله. فاجترأ ودخل على بيلاطسَ وطلبَ جسدَ يسوعَ* فاستغربَ بيلاطسُ أنَّه قد مات هكذا سريعاً. واستدعى قائدَ المئةِ وسألهُ هل له زمانٌ قد مات* ولَّما عرف من القائدِ وَهَبَ الجسدَ ليوسف* فاشترى كتَّاناً وأنزَلهُ ولفَّهُ في الكتَّان ووضعه في قبرٍ كان منحوتاً في صخرةٍ ودحرجَ حجراً على بابِ القبر* وكانت مريُم المجدليةُ ومريمُ أمُّ يوسي تنظرانِ أين وُضع* ولَّما انقضى السبتُ اشترتْ مريُم المجدليةُ ومريمُ أمُّ يعقوبَ وسالومَةُ حَنوطاً ليأتيَن ويدهنَّهُ* وبكّرنَ

جدًّا في أول الأسبوع وأتينَ القبَر وقد طلعتِ الشمسُ* وكنَّ يقلْنَ فيما بينهنَّ مَن يدحرجُ لنا الحجرَ عن بابِ القبر* فتطلَّعنَ فرأينَ الحجرَ قد دُحرِجَ لأنَّه كان عظيماً جداً* فلما دخلنَ القبرَ رأينَ شابًّا جالساً عن اليمين لابساً حُلَّةً بيضاءَ فانذهلنَ* فقال لهنَّ لا تنذهِلنَ. أتَطلبَن يسوعَ الناصريَّ المصلوبَ. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضعُ الذي وضعوهُ فيهِ* فاذهبَن وقلنَ لتلاميذهِ ولبطرسَ إنَّه يَسبِقُكم إلى الجليل. هناك تَرَوْنهُ كما قال لكم* فخرجنَ سريعاً وفَرَرْنَ من القبرِ وقد أَخَذَتْهُنَّ الرِّعدَةُ والدهَش. ولم يقلنَ لأحدٍ شيئاً لأنَّهنَّ كنَّ خائفاتٍ.

تأمل

أما يوسف الذي من الرامة، فقد وُصف بأنّه كان غنياً (متى ٢٧: ٥٧)، لا افتخاراً من الكاتب البتّة للإشارة إلى أنّ رجلاً معروفاً وغنياً جداً كان تلميذاً ليسوع، بل لكي يكشف السبب الذي لأجله استطاع الحصول من يعيش المؤمن خبرة الإنجيل من بدايته، من جديد، ولكن بذهن وقلب صارا جديدَين لأنّهما استنارا بالقيامة الإلهية. هذا يعني أيضاً أن المؤمن مدعو، وقد تجدَّد كل كيانه بالقيامة، إلى الرجوع إلى «جليله» الشخصي إذا جاز التعبير أي إلى لحظة لقائه الأول بيسوع. بمعنى آخر أن يرجع إلى «محبته الأولى» عاملاً «الأعمال الأولى»، كما يقول سفر الرؤيا (٢: ٤–٥).

قسطنطين الملك

تعيَّد كنيستنا المقدَّسة في ٢١ أيار لتذكار القديسين العظيمين في الملوك قسطنطين وأمّه الملكة هيلانة، اللذين استحقا لقب المعادلين للرسل كونهما ساهما في إطلاق البشارة بالمسيح عبر إعطاء أمر بوقف الاضطهادات ضد المسيحيين وإعلان المسيحية كديانة رسمية مقبولة في الإمبراطورية في مرسوم ميلانو عام ٣١٣.

جلَّ ما نعرفه عن القديسين هو كيف وجدت القديسة هيلانة الصليب المقدَّس ويغفل عنَّا من هو الملك قسطنطين. ولد قسطنطين الملك حوالي العام ٢٨٠م. كان أبوه جنرالاً رومانياً لامعاً اسمه قسطانس كلور وأمّه القديسة هيلانة التي كانت مسيحية وأثرت على قسطنطين ابنها. لم يأخذ عن أبيه فن الحرب وحسب، بل أن يسوس بحكمة الخاضعين له، وأن يرأف بالمسيحيين. نشأ قسطنطين على مزايا كريمة ونبل في المسرى ورحابة في التعاطي مع الآخرين وإنصاف في العدل وعطف على المحتاجين. هذه المزايا بالإضافة إلى الرأفة بالمسيحيين اتَّسم بها قبل أن يعرف المسيح، فلمّا عرفه أخذ منه وأضاف على فضائله، فضائل جديدة.

بعد أن عاش قسطنطين أسيراً في نيقوميذية والعاصمة الشرقيَّة للإمبراطورية الرومانية، إثر احتجازه من قبل غاليريوس قيصر، تمكّن من الفرار نحو الغرب، حيث أسند إليه كرسي الحكم في الغرب.

استنجد أهل رومية بقسطنطين الملك ضد مكسنتيوس فحشد جيشه، ولكنه ارتبك إذ إن جيش العدو يفوق جيشه عدداً. فإذا بصليب هائل يظهر في السماء عند الظهيرة، قوامه نجوم وحوله الكلمات التالية باللغة اليونانية «بهذه العلامة تنتصر». ثم في الليلة التالية ظهر له الرب يسوع نفسه وأوصاه بإعداد صليب مماثل للصليب الذي عاينه في الرؤيا ورفعه بمثابة راية على رأس جيشه. إذ ذاك تلألأت علامة الغلبة من جديد في السماء. منذ ذلك الحين أخذ قسطنطين يتعلَّم المسيحيَّة وينكب باجتهاد على قراءة الكتب المقدسة. خاض قسطنطين الحرب، ودارت المعركة عند جسر ملفيوس، على بعد ميلين من رومية، وحقق قسطنطين، بنعمة الله، وقوة صليبه، نصراً كاسحاً. «يا رب ان قسطنطين الذي هو رسولك في الملوك، لما شاهد رسم صليبك في السماء عياناً، وبمثابة بولس قبل الدعوة ليس من البشر. أودع بيدك المدينة المتملكة فأنقذها بالسلامة كلَّ حين. بشفاعات والدة الإله يا محب البشر وحدك» (طروبارية العيد).

بعد أن حقق قسطنطين النصر دخل رومية، دخولاً مُظفَّراً، فحيَّته الجموع كمحرّر ومنقذ ومحسن. وقد رفع راية الصليب فوق النصب الرئيسية في المدنية. كما ردَّ قسطنطين للمسيحيين كل الممتلكات التي سبق لمكسنتيوس أن صادرها منهم، كما أرجع المنفيين وحرّر الأسرى. وأوعز

بالبحث عن رفات الشهداء الذين سقطوا أثناء الاضطهاد الكبير. ثم التقى قسطنطين الإمبراطور ليسينيوس، إمبراطور المشرق، في ميلانو (٣١٣م)، فوقع الاثنان مرسوماً وضع حداً للاضطهاد ضد المسيحيين وأجاز لهم ممارسة إيمانهم بحرية في كل أرجاء الإمبراطورية. زال خوف المسيحيين من المضطهدين، لأنهم صاروا يتمتعون بحماية الإمبراطور.

كذلك حرَّم قسطنطين الملك على مقاطعات مملكته تقديم الأضحية الوثنيّة وأرسل إلى كل الأصقاع الخاضعة لسلطانه ما يفيد رفضه الوثنية وتحريضه على الهداية إلى المسيح. كما حثَّ أتباعه على أن يحذوا حذوه، ولكن دون أن يُرغم أحداً على ذلك.

سنة ٣٢٥م دعا قسطنطين الملك، إلى عقد مجمع مسكوني لأول مرة في تاريخ المسيحية، ذلك لتثبيته الإيمان المسيحي الصحيح بعد أن لحق به الكثير من التعاليم غير الصالحة. فعُقِدَ المجمع في نيقية ودحض كل الهرطقات كالهرطقة الآريوسية، وبحث في قضية تعييد الفصح وتحديده، في تاريخ واحد. «يا قسطنطين المعادل الرسل، إننا نقيم تذكارك بحسب الواجب، يا ركن كل الملوك وفخرهم، لأنك لما استنرت بأشعة الروح الكلي قدسه، ابهجتَ الكنيسة كلها وجمعتَ محافل المؤمنين من كل صقع إلى مدينة نيقية البهية حيث أخمد جماح المنافقين وضعفت ألسنة المبتدعين وأُفحمت. وأما رهط المستقيمي الرأي فقد سما بظهور الإيمان. فمن ثمّ مُجِّدت منهم بما أنك قويم الرأي جداً وكُرز بك أباً للملوك كافة بما أنك أحرزت أولاً البرفيرة من الله. فلذلك نطلب إليك نحن المقيمين تذكارك بإيمان أن تستمد غفران الخطايا لنفوسنا» (من خدمة الليتين).

بعد أن أحتفل قسطنطين بمرور ثلاثين عاماً للعرش سنة ٣٣٥م، خرج لحرب ضد ملك الفرس، الذي تنكر لتحالفه مع قسطنطين وثار ضد المسيحية. لكن قسطنطين الملك تعرض لمرض فنقل على وجه السرعة إلى ضواحي نيقوميذية حيثُ جرت عمادتُهُ. بعد أن أعتمد وفي يوم العنصرة المجيدة من العام ٣٣٧م رقد قسطنطين الملك. إثر وفاته نُقل جسد الملك قسطنطين إلى القسطنطينية حيثُ جرت الصلاة عليه بحضور شعبي كثيف، ثم أُودع كنيسة القديسين الرسل، وسط الأضرحة الحجرية الفارغة للإثني عشر رسولاً. «أيها الملك العزيز قسطنطين المعظم، لقد نلتَ من الله غنى المواهب الفاضلة، فتلألأتَ بها حسناً لأنك لما استضأتَ بأشعة الروح الكلي قدسه من الكاهن سلبسترس بالمعمودية ظهرتَ في الملوك غير مقهور وقدمتَ المسكونة لخالقك بمثابة جهاز مع المدينة المتملكة المحبة لله، فلذلك بما ان لك الدالة لا تزل مبتهلاً إلى المسيح الإله أن يمنح لجميع المقيمين تذكارك غفران الخطايا والرحمة العظمى».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

بيلاطس على جسد يسوع (٢٧: ٥٨–٥٩). ذلك أنّ رجلاً فقيراً أو غير مشهورٍ ما كان ليتمكّن من الدخول على بيلاطس، ممثّل السلطة الرومانية، والحصول منه على جسد المصلوب. وإذ أخذ يوسف جسد يسوع، لفّه في كفنٍ نظيف (٢٧: ٥٩). إنّ بساطة قبر الرب تشجب طموحات الأغنياء، الذين لا يستطيعون الاستغناء عن الثراء حتى في قبورهم. وهوذا أيضاً ما يمكننا فهمه بالمعنى الروحيّ: أنّ من يلفّ يسوع في كفنٍ نظيفٍ هو ذاك الذي تلقّاه في قلبٍ نقيّ. ولقد وُضع يسوع في قبرٍ جديد (٢٧: ٦٠)، حتى إذا كانت لا تزال فيه أجسادٌ أخرى بعد قيامته لا يُظن أنّ من قام كان سواه. أمّا الحجر الموضوع على مدخله، الحجر الضخم، فكان هناك ليُبرهن أنّ القبر لا يمكن فتحه بلا معونةٍ من أشخاصٍ عديدين. ولقد ترك الآخرون الرب، فيما واظبت النسوة على تأدية واجباتهنّ له. كنّ ينظرن نجاز وعد يسوع، ولذلك استأهلن أن يشاهدنه قائماً هنّ أولاً.

القديس إيرونيمس